خسرو وشـــيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

لما رحل خسرو إلى بلاد الروم، ليطلب مساعدة الإمبراطور موريس على القائد بهرام جوبين، ضاق فى عينى شيرين ريف أرمينية على اتساع أرجائه، وكثرة ملاهيه، وتنوع ضروب التسلية فيه؛ فرجعت إلى عمتها مهين بانو، حزينة على فراق حبيبها، آسفة لقسوتها عليه، فنشطت عمتها فى جلب السرور إلى قلبها، والترويح عن نفسها، وإحاطتها بما ينسيها أحزانها

وكان خسرو قد نجح — بفضل مساعدة إمبراطور الروم — فى استرداد عرش أجداده، وتوّج للمرة الثانية ملكا على إيران، وحكم بالعدل بين رعيته، فصار محبباً إليها. ولكنه لم يجد فيما يحيط بجلال الملك من مباهج الحياة، ما يخفف عنه لوعة الحزن والأسى، التى يشعر بها فى قرارة نفسه لغياب شيرين

وماتت مهين بانو، تلك العمة الطيبة القلب، فصارت شيرين ملكة أرمينية، ولكنها لم تستطع نسيان أحزانها، بل زادت كآبة لما علمت بزواج خسرو من مريم. وأرادت أن تجد العزاء والسلوى فى الشعور بقرب حبيبها منها، فرحلت من أرمينية إلى «قصر شيرين» بين الهضاب المرتفعة فى إيران، ومعها جمع كبير من صويحباتها وأتباعها، كان بينهم شابور الذى بقى فى خدمتها بأمر من صديقه خسرو، يرعاها فى وفاء وإخلاص. ولما وصلت إلى قصر شيرين أرسلت شابور إلى المدائن، بعد أن أوصته ألا يخبر خسرو عن وجودها فى قصرها، مخافة أن تعكر عليه صفو حياته الزوجية. ولكن شابور لم يكترث لتحذيرها، وجاء إلى المدائن حيث وجد خسرو فرحاً مسروراً، لتلقيه أنباء مقتل القائد بهرام جوبين، فأخبره بوجود شيرين على مقربة، وزاده بذلك طرباً وحبوراً، ثم رجع إلى قصر شيرين

وكان لقصر شيرين — بالرغم من كل ما فيه من الاستعدادات العظيمة لاستقبال ملكة أرمينية — نقيصة واحدة، هى وجود المراعى والأغنام بعيداً عنه، فى ناحية الجبل الأخرى، ولهذا السبب لم يكن فى استطاعة شيرين أن تحصل على أى مقدار من اللبن. واشتكت من ذلك يوماً ما أثناء وجود شابور، فأخبرها عن مثال ماهر، واسع الحيلة، كان زميلاً له فى أيام الدراسة، اسمه فرهاد[1]، يظن أن فى استطاعته أن يذلل هذه العقبة وأن يعمل شيئاً فى سبيل إرضاء رغبتها. وذهب شابور فأحضر فرهاد[2]. وما كاد هذا يقف بين يدى شيرين ويتطلع إليها، حتى غمره حبها وتولاه الذهول، فلم يفقه من كلامها شيئاً، واضطر أصدقاؤه بعد ذلك أن يفسروا له رغباتها، وأخذ فرهاد فى تنفيذ ذلك بجد واجتهاد، حتى أمكنه بعد شهر واحد أن ينحت فى الصخر قناة تخترق الجبل، وتصل بين القصر من ناحية وبين المراعى فى الناحية الأخرى. وأخذ رعاة الأغنام يحلبون اللبن ويسكبونه فى القناة فيجرى فيها إلى القصر، وبذلك صار فى إمكان شيرين أن تحصل فى صباح كل يوم على ما تحتاج إليه من اللبن الطازج[3]. وأعجبت شيرين بهذا العمل الهائل الذى يفوق مقدرة البشر، فأطنبت فى مديح فرهاد، وأرادت أن تكافئه بما يريد من الذهب والأحجار الكريمة، ولكنه أبى أن يأخذ شيئاً، وفر هارباً إلى الصحراء، حيث هام على وجهه كالمجنون.

وسمع خسرو بهذا الحب فأرسل من أحضر فرهاد من

---

(١) نظم بعض الشعراء بالإيرانية والتركية قصة «فرهاد وشيرين» على حدة، معتمدين فى نظمها على ما رواه الشاعر نظامي عن هذه القصة فى منظومة «خسرو وشيرين». انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧ فى الحاشية و E. J. W. Gibb, History of Ottoman Poetry

(٢) انظر صورة الشابور وهو يقدم فرهاد لشيرين فى Mehmet Aga-Oglu, The Khusraw wa Shirin Manuscript in the Freer gallery, in: Ars Islamica, IV (1937) fig. 3.

(٣) يروى ابن الفقيه فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص١٠٩، أن الملك خسرو جلس مع شيرين يتناول الشراب، فلما سكر قال لشيرين: سليني حاجتك. فقالت: حاجتى أن يكون لى فى هذا البلاغ (قصر شيرين) نهران من حجارة يجرى فيهما الخمر واللبن. قال: أفعل ذلك. وفيه للملك، فاستحيت شيرين أن تذكره، فعمل الفهربذ غناء وذكره حاجة شيرين فأمر ببناء النهرين.

الصحراء ، ولما مثل بين يديه ، حاول أن يثنيه عن حبه لشيرين ، ولـكنه لم يفلح بالوعد ولا بالوعيد أن يزحزحه قيد أنملة بعيداً عن ذلك . وأخيراً عمد خسرو إلى الحيلة ، فوعده أن يزوجه شيرين ، إذا استطاع أن يشق طريقاً فى صخر جبل بيسُتون[1] ظناً منه أن ذلك سيصعب عليه . ولـكن فرهاد وافق فى الحال ، وقبل هذا الشرط ، ورحل إلى جبل بيستون ، حيث بدأ ينحت لوحة عليها صور شيرين وخسرو وشبديز ، وجعل من صورة شيرين رمزاً لحبيبته ، لـكى يراها فى كل لحظة تطل عليه ترى بنفسها مقدار كده وتعبه وما يبذله من العناء فى سبيل الزواج بها ، ولـكى يلجأ إليها فى ساعات فراغه ليبثها غرامه وشقاء قلبه فى حبها . وبلغ شيرين ذلك ، فجاءت إلى جبل بيسُتون لتسرى عن فرهاد ، ولـكنه عندما فوجئ برؤيتها ، كاد أن يفقد صوابه ، لفرط ما طغى عليه من السرور ، فأشفقت عليه شيرين وأعطته جرعة من شراب ، تمكن بها من استعادة صوابه الفاقد ، فحدثها عن مبلغ هيامه بها وعن حالته التعسة .

(شكل ١)

وفى (شكل ١) جاءت شيرين لزيارة فرهاد ، وهى راكبة على جواد أصيل ، عندما علمت بما يكنه لها من الحب المبرح ، ونراه هنا — ومعه أدوات النحت — حيث يعمل فى الطريق الذى يشقه بجبل بيسُتون ، وهو راكع لأمامها يرتشف من قَعْب[1] خزفى جرعة من شراب أعطته إياه شيرين لتهدئة ما طغى عليه من الوجدان بتأثير هذه الزيارة المفاجئة . وإلى جوار فرهاد لوحة نحتها فى الصخر لتخليد ذكرى فتح هذا الطريق العظيم ، وقد نحت فى أعلى هذه اللوحة صورة خسرو وهو واقف بين حبيبته شيرين وبين موبذ الموبذان[2] ، وفى أسفلها صورته وهو راكب على الفرس شبديز . وقد أراد المصور أن يمثل هنا الصور الشهيرة التى نحتها المثال فرهاد فى صخور « طَاق بُستان » والتى خلدت لهذا المثال شهرة واسعة[3] (أنظر شكل ٢ القادم) . ونلاحظ فى هذه الصورة النبار الذى يتطاير خلف جواد خسرو على هيئة السحب الصينية « تشى » ، وهـذا يدل على مقدار ما بلغه تأثير التصوير الصينى فى أسلوب مدرسة شيراز التيمورية فى إيران . ومن ميزات أسلوب هذه المدرسة ما نراه فى هذه الصورة من الحركة والحياة فى رسم المنظر فى الهواء الطلق ، بخلاف ما كان متبعاً فى المدارس السابقة لهذه ، من رسم المناظر فى داخل المبانى وما يقتضيه ضيق المكان من الجمود الذى يظهر فى رسم الصور . كما أن رسم الأشجار المورقة المحيطة بالمنظر صار منذ هذا العصر من التقاليد المتبعة فى تصوير المناظر الخارجية[4] وهذه الصورة[5]

---

(١) يوجد مكان على بعد عشرين ميلا إلى الشمال من كرمانشاه به طريق منحوت فى الصخر بجبل بيستون يقال إنه من عمل فرهاد . انظر : Gibb, I, p. 322 n. 1

(١) قعب والجمع قعاب ، آنية للشرب تشبه فنجان الشاى ولـكنها بدون يد ، يقال لها بالفرنسية Coupe وبالانجليزية Cup وبالألمانية Schale . والقعب هو الاناء الذى يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل أو الرجلين . والصغير من هذا النوع من الآنية يسمى « قمر » ، وهو الذى لا يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل الواحد . انظر قاموس Lane كلمة « قعب » والمراجع المذكورة فيه .

(٢) موبذ الموبذان ، لقب رؤساء الزردشتيين ، وكان للموابذة شأن عظيم فى عهد الدولة الساسانية . انظر العهنامه ، مدخل ص ٧٧

(٣) انظر : B-W-G, p. 65, no. 42 c.

(٤) انظر : S. P. A., III, p. 1846

(٥) منقولة من : B-W-G, pl. XXXIII B . وللمقارنة انظر : Mehmet Aga-Oglu, in : Ars Islamica, IV (1937), fig. 4

فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى يمكن تأريخه بين سنتى ٨١٣ و٨٣٣ هجرية (١٤١٠ — ١٤٣٠ م) ، وهو محفوظ فى مجموعة كارتيير بباريس

(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) النقوش الخالدة التى يقال إن المثال فرهاد نحتها بداخل كهف الملك خسرو برويز فى طاق بستان . ويقع طاق بستان فى ناحية الشمال الشرقى من كرمانشاه ، فى سفح جبل بيستون[1] فى مكان ملئ بالخضرة الناضرة والمياه الجارية . ويتألف من عدة كهوف أمر بنحتها بعض ملوك الأكاسرة فى صخر الجبل . وينسب أكبر هذه الكهوف للملك خسرو برويز[2] ، وفى الحائط الخلفى لهذا الكهف نحت فرهاد هذه النقوش[3] ، فنرى فى أعلى الصورة خسرو بين شيرين وموبذ الموبذان ، أو كما يقول رأى آخر بين الإلهين هرمز وأباهيتا

(١) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38

(٢) يخالف الدكتور Erdmann هذا الرأى فى البحث الذى كتبه عن تاريخ طاق بستان . انظر : K. Erdmann, Das Datum des Tag-i-Bustan, in : Ars Islamica, IV (1937), p. 78 — 97. واظر أيضاً المراجع المذكورة فى S. P. A., I, p. 496 n. 1 عن هذا الموضوع

(٣) هذه الصورة منقولة عن : K. Erdmann in: Ars Islamica, IV (1937), fig. 8 .

يبايعانه بالملك . وفى أسفل الصورة خسرو على جواده شبديز[1] ويذكر أبو عمران الكسروى طاق بستان فى الأبيات الآتية[2]

وهم تقرواشبديزفى الصخرعبرةً ... وراكبه برويزُ كالبدر طالع
عليه بهاء الملك والوفدُ عكّفٌ ... يخال به فجر من الأفق ساطع
تلاحظه شيرينُ واللحظ فاترٌ ... وتعطوبكف حسّنتها الأشاجع
يدوم على كرالجديدين شخصه ... ويلقى قويم الجسم واللون ناصع

ويروى ابن الفقيه[3] أن بعض الملوك اجتاز هناك ونزل وشرب ؛ وأعجبه الموضع فاستدعى خلوقا وزعفرانا فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يحمحم لما ... خُلّق الوجه منه بالزعفران
وكان الهمام كسرى وشيري ... ن مع الشيخ موبَذ الموبذان
من خَلُوق قد ضمخوهم جميعاً ... أصبحوا فى مطارف الأرجوان

(له صلة)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر : Friedrich Sarre, Sasanian Stone Sculpture, in : S. P. A., I, p. 598

(٢) انظر كتاب البلدان لابن الفقيه — طبعة ليدن — ص ٢٥٣ — ٢٥٣

(٣) فى كتاب البلدان — ٢٥٣

صدر اليوم كتاب جديد بقلم

توفيق الحكيم

بجماليون

الأسطورة الأغريقية التى استوحاها برنارد شو ، يستوحيها الأستاذ توفيق الحكيم بصورة أخرى . تصدره مكتبة الآداب بمصر ت ٤٢٧٧٧ لقراء الأستاذ ، تحفة رائعة تضاف إلى ما سبق نشره من تحف — وثمنه ١٥ قرشاً وأجرة البريد قرشان .

ويطلب منها ومن جميع المكاتب الشهيرة